

تفسير ابن كثير

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ^ج بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

قال الحسن وقتادة : نزلت هذه الآية ، وهي قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ)

في اليهود والنصارى ، حين قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه) وقال ابن زيد : نزلت في

قولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه) [المائدة : 18] ، وفي قولهم : (وقالوا لن يدخل

الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [البقرة : 111] . وقال مجاهد : كانوا يقدمون

الصبيان أمامهم في الدعاء والصلاة يؤمنونهم ، ويزعمون أنهم لا ذنب لهم . وكذا قال

عكرمة ، وأبو مالك . روى ذلك ابن جرير . وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله (أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ) وذلك أن اليهود قالوا : إن أبناءنا توفوا وهم لنا قرية ،

وسيشفعون لنا ويزكوننا ، فأنزل الله على محمد [صلى الله عليه وسلم] (أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) رواه ابن جرير . وقال

ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا ابن حمير ، عن ابن لهيعة ،

عن بشر بن أبي عمرو عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود يقدمون صبيانهم

يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب . وكذبوا . قال الله [

تعالى] إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له " وأنزل الله : (ألم تر إلى الذين يزكون

أنفسهم) ثم قال : وروي عن مجاهد ، وأبي مالك ، والسدي ، وعكرمة ، والضحاك - نحو

ذلك . وقال الضحاك : قالوا : ليس لنا ذنوب ، كما ليس لأبنائنا ذنوب . فأنزل الله ذلك

فيهم . وقيل : نزلت في ذم التمداح والتزكية . وقد جاء في الحديث الصحيح عند مسلم ،

عن المقداد بن الأسود قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجوه

المداحين التراب . وفي الحديث الآخر المخرج في الصحيحين من طريق خالد الحذاء ، عن

عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يثني

على رجل ، فقال : " ويحك . قطعت عنق صاحبك " . ثم قال : " إن كان أحدكم مادحا

صاحبه لا محالة ، فليقل : أحسبه كذا ولا يركي على الله أحدا " . وقال الإمام أحمد :

حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال : أنا

مؤمن ، فهو كافر . ومن قال : هو عالم ، فهو جاهل . ومن قال : هو في الجنة ، فهو في

النار . ورواه ابن مردويه ، من طريق موسى بن عبيدة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب ،

عن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إنه مؤمن ، فهو كافر ، ومن قال : إنه عالم فهو جاهل ، ومن قال : إنه في الجنة ، فهو في النار . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ، أنبأنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن معبد الجهني قال : كان معاوية قلما يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه ، وإياكم والتمادح فإنه الذبح " . وروى ابن ماجه منه : " إياكم والتمادح فإنه الذبح " عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن غندر ، عن شعبة به . ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عويم البصري القدري . وقال ابن جرير : حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : إن الرجل ليغدو بدينه ، ثم يرجع وما معه منه شيء ، يلقي الرجل ليس يملك له نفعا ولا ضرا فيقول له : والله إنك كيت وكيت فلعله أن يرجع ولم يحل من حاجته بشيء وقد أسخط الله . ثم قرأ) ألم تر

إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية .وسياتي الكلام على ذلك مطولا عند قوله تعالى : (فلا
تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [النجم : 32] . ولهذا قال تعالى : (بل الله يزكي من
يشاء) أي : المرجع في ذلك إلى الله ، عز وجل لأنه عالم بحقائق الأمور وغوامضها .ثم
قال تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) أي : ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل
قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد من
السلف : هو ما يكون في شق النواة .وعن ابن عباس أيضا : هو ما فتلت بين أصابعك .
وكلا القولين متقارب .